ثمن زوجة

أقصوصة مصرية

بقلم الأديب نجيب محفوظ

جلس ينظر إلى صورته فى المرآة الكبيرة ويتابع بعينيه يد الحلاق وهى تقص شعره بخفة ومهارة ، وكانت تبدو عليه آى الهدوء والغبطة كما ينبغى لشاب مثله فى أسبوعه الثالث من شهر العسل

ولاعجب فشهر العسل فى حياة الأزواج كالشباب الناضر فى الآجال المعمرة . وقد حبته الطبيعة بألذ المتع ودفعته مهراً لحياة الزوجية التى تستأديها الذكور من جميع الأنواع . وكان حضرة الفاضل حمدى أفندى المهندس واحداً من ذكور أسمى الأنواع كلها ، وقد تزوج من ابنة أحد زملائه وأساتذته المهندسين ، وهى فتاة جميلة مهذبة سمع عنها ورأى فيها ما علقه بها ورغبه فيها ، وهو الآن يستمتع بلذة اللذاذات التى تجزى بها الطبيعة الصادعين بأمرها الداخلين فى طاعتها ...

ولاحظ المهندس فى جلسته العادية المغتبطة — أن « الأوسطى » لم يكن كعادته ذلك اليوم . رآه واجماً والعهد به ضحوكا ، ووجده صامتاً والعادة أن يكون ثرثاراً لا يسكن له لسان ، فعجب لشأنه ؛ ولكنه لم تؤاته الشجاعة على سؤاله عن حاله ، ولاذ بالفرصة الجميلة التى كفته مشقة ثرثرته وشقشقة لسانه ، وتغاضى عن شذوذه حتى انتهى من عمله فقام واقفاً ، ولم ير حرجاً فى إبداء ملاحظاته فسأله قائلا وهو يعقد رباط رقبته :

« مالك صامتاً واجماً كأنك لاتجد ما تقوله ؟ »

وبدا على الرجل الارتياح لمفاتحة المهندس له بذلك السؤال وكان يرغب فى الكلام حقاً ، وتلح عليه الرغبة إلحاحاً شديداً ، ولكنه لايدرى كيف يلج الموضوع ، ورأى زبونه يكاد ينتهى من ارتداء ملابسه فأشفق من ضياع الفرصة وقال :

« الحق يا سيدي أن لدى كلمة أريد أن أقولها ولكن ... »

وتوقف عن الحديث فازداد عجب الشاب وسأله باهتمام :

« ولكن ما ذا ؟ »

« إن بعض الظن إثم ، وكثيراً ما يخطئ الانسان فى تقديره . والحق أنى أدمت التفكير طويلا وقلبت المسألة على جميع وجوهها فرأيت أن الواجب يقضى علىّ بمصارحتك بظنونى مهما كانت الاحتمالات والعواقب ... »

وكان الشاب قد انتهى من عقد رباط رقبته وارتداء جاكتته وطربوشه فدنا من الحلاق وحدجه بنظرة اهتمام وانشغال وقال :

« إن كنت ترى حقاً أن الواجب يقضي عليك بمصارحتى فما معنى التردد والتلعثم ؟ »

فتنهد الرجل وقال :

« حسن يا سيدى ... إعلم أنى لاحظت أموراً ... »

« ... ... ؟ »

« منذ أسبوعين أرى شاباً يتردد على العمارة التى تسكن فيها كل صباح بعد الساعة الثامنة مباشرة ... »

فزوي الرجل ما بين حاجبيه وقال باستهانة :

« نعم ... ؟ »

« لقد لفت نظرى بهيئته ومواظبته فشغلت فراغ الصباح بمراقبته ولاحظت أنه يحضر من شارع عاصم حوالى الساعة السابعة ويأخذ مكانه فى مقهى النجمة ، حتى إذا غادرت البيت وذهبت إلى الوزارة يدفع ثمن قهوته ويترك المقهى إلى العمارة رأساً ... »

وكان المهندس — على شبابه — رزيناً ثابتاً بمنجى أمين من الرعونة والطيش ، فعض على شفته السفلى كلما ارتبك أو أخذ ، وكأنما أراد أن يغالب القلق الزاحف عليه فسأله بلهجة الغاضب

« ما الذى تعنى ؟ »

فاصفر وجه الحلاق وندم على خوض هذا الحديث الأليم ولكنه لم ير بداً من الاستمرار فقال: « إنى أرجو أن أكون مخطئاً يا سيدى ، بل إنى لا أتمنى على الله أكثر من أن يكشف عن وجه الخطأ فى جميع ظنونى ، ولقد ترددت طويلاً قبل أن أبثك هذا الحديث، ولكنى رأيت أن المصارحة مع ما تنذر به أفضل عندى من التستر على العيب مع السلامة ... وقد كان مما أيقظ الشك فى نفسي أني رأيته مرات يلاحظك خلسة — وأنت سائر فى طريقك — ويرمقك بنظرات لم يرتح إليها قلبى حتى إذا غيبك منحنى الطريق قام بسرعة وانسل إلى داخل العمارة ... »

« ألم تره خارجاً منها ؟ »

« رأيته مرات وقد لبث فى الداخل ساعتين أو يزيد ... »

« ما شكله ؟ »

« هو شاب فى مقتبل العمر ، حسن الهندام ، مخنث الهيئة ، لولا تسكعه فى الصباح لقلت انه طالب ... »

ورأى الحلاق المهندس واجماً صامتاً ، تصرح سرائره بما يقهر نفسه من الاضطراب والقلق فقال بتألم : « لا تأخذ بظنى ياسيدى واسلك سبيل الحكماء فتحقق الأمر بنفسك ، والحق أنى غير آسف على قول ماقلت ولكنى ألعن الظروف »

فسأله المهندس وكأنه لم يسمع قوله :

« هل حضر هذا الصباح كعادته ؟ »

« نعم ياسيدي »

ألا ينقطع عن الحضور أحياناً ؟ »

« يوم الجمعة »

فعض الشاب مرة أخرى على شفته ولم يزد على أن قال وهو يغادر الصالون

« إنى أشكر لك مروءتك وأرجو أن تفتح عينيك حتى أعود إليك صباح الغد »

وكان البيت قريباً على قيد خطوات ولكنه لم يشخص إليه — مع أن الوقت كان ظهراً — وأحس فى نفسه رغبة طاغية فى المشى، فهام على وجهه بغير هدف معين

كان حمدى شاباً فى الثلاثين من عمره ، يلفت الأنظار لضآلة حجمه ورقة أعضائه وشحوب لونه، ولكن كانت تلتمع فى عينيه نظرة تدل على حدة الذكاء ، وكانت ذقنه تلتوى التواءة يعرف بها ذوو الإرادات الحديدية ، وكان أخص ما يعرف

به الهدوء والرزانة والبرود فلا يذكر أحد من معارفه أنه رآه مرة منفعلاً أو متهيجاً لحزن أو لفرح، ولكن لم يكن طبعه هذا ضعفاً أو جبناً فإنه يغضب إذا اقتضى له الغضب ولكن على طريقته فى الغضب ، فلا هياج ولا سب ولا شجار ولكن عقاب صارم أو انتقام مهول ، هكذا يتقدم فى حياته « كوابور الزلط » بطيئاً رصيناً ولكنه لا يقاوم ولا يبقى ولا يذر . . .

وقد قال لنفسه وهو يسير على غير هدى : يلمح الرجل إلى خيانة زوجية ، خيانة زوجية فى شهر العسل ! لا شك أنها أول خيانة من نوعها ، هى كالإجهاض سواء بسواء الذى يهلك الجنين قبل أن يكتمل ... كيف يستطيع أن يصدق هذا ... بل كيف يمكن وقوعه ؟ كيف استطاع ذلك الشاب أن يشق طريقاً إلى بيت عرسه ؟ هل كان يعرف زوجه من قبل أن يعرفها هو ؟ مهما كان الواقع فهو أمر بعيد عن التصديق ... وذكر حياته الزوجية القصيرة فذكر بها سعادة وصفاء ومتعاً لا تحصى ولا توصف ، فلم يشك فى أنه سيكشف فى غده خطأ مضحكاً لن ينفك يضحك كلما ذكره ما امتد به العمر . . .

ومع هذا . . .

ومع هذا فهو لا يستطيع أن يخدع نفسه عن العاطفة الذميمة التى تقاتل فى قلبه . . . عاطفة الشك المذبة . وها هى ذى تتشبث ببعض الذكريات التى مر بها مر الكرام فتعرضها من جديد على مخيلته فى إطار أسود مخيف فلا يملك إلا أن يتأملها متحيراً متفكراً . فهو يذكر كيف كانت زوجه تلقاه — على أيام خطوبتها — بجمود ووجوم كأنها تلقى جداً لا خطيباً ، وكيف أنها لم تحاول قط أن تفاتحه بحديث أو تشترك فى أحاديثه بحماس ، وكيف أنها كانت تقنع بالإجابات الضرورية فتلفظها فى اختصار ساسة الإنجليز . . .

لقد حمل ذلك كله على محمل حسن وقال غفوراً إنه حياء جميل . ويجوز أن يكون قوله حقاً ، ولكن يجوز أيضاً أن يكون وهماً وأن يكون الباعث شيئاً غير الحياء، من يعلم ؟ ربما كان نفوراً وكراهية وكان ينبغى له أن يدقق ويتحقق . . . !

ويذكر أيضاً أن الحال لم تتغير بعد الزواج ، فلا تزال محافظة على رزانتها وتحفظها أو برودها — ولم يجرؤ ذكر هذه الكلمة على لسانه من قبل — وكم تمنى لو كانت عروسه لعوباً طروباً ، أما الآن فمن يدريه أنها ليست كذلك وأنها لا تصطنع البرود إلا فى حضرته ؟ وا أسفاه . أى شقاء وأى تعاسة ! ولم يكن حمدي خبيراً بالنساء ولا ذا حظوة لديهن ، فاضطر — فى عزوبته — إلى الاستقامة والزهد وقضى تلك الأيام محزوناً معدوم الثقة بنفسه ، وقد ظن أن الزواج دواؤه ونجاته فاستغاث به واطمأن إليه وحمد الله على نعمته ؛ ولكن ها هو ذا يوشك أن يخيب فى زواجه فيفقد الأمل الوحيد فى السعادة والحياة المطمئنة، وها هى ذى الزوجة تكاد تنكشف عن امرأة ككل النساء اللاتى لم يفز منهن بحظوة . . . فأى شقاء وأى تعاسة ! . . .

على أنه لم يستسلم للتشاؤم كل الاستسلام ولم ينغمس فى اليأس كل الانغماس وتعلق بالأمل الباقي له وهو أن يكون الأمر غير ما قدر والظن غير ما أساء ... وتمنى لو يستطيع أن يبدد هذه السحابة القاتمة الغاشية على قلبه وأن يسترد بعض ما كان له من الصفاء والغبطة ...

على هذا النحو كانت تؤاتيه القدرة على تحليل أحزانه وأفراحه ، ولكنه كان إذا انتهى إلى عزم عرف كيف ينفذه بحذافيره لا يرده عن غرضه راد

وكان قد قطع شوطاً كبيراً وبدأ يشعر بالتعب فعاد أدراجه إلى مسكنه محى الرأس ملتهب المواطف ، ودخل إلى شقته وهو يتكاف الابتسام والهدوء فرأى عروسه جالسة إلى المائدة ، والغداء جاهز ، والأطباق مصفوفة وسمعها تقول له عاتبة :

« تأخرت عن موعدك »

فنظر إلى وجهها نظرة سريعة لأنه خشي أن تقرأ في عينيه ما يدعوها إلى التساؤل ، وجلس إلى جانبها ، بل وقبلها أيضاً كما ينتظر من شاب مثله في شهر العسل ، ثم قال معتذراً :

« مررت في طريقي بالحلاق وكان الصالون مزدحماً ... »

* * *

وفي صباح الغد خرج في موعده المعتاد وسار في طريقه المعهود ولدي مروره بمقهى النجمة قاوم رغبة شديدة نازعته إلى تصفح وجوه الجالسين بها وخيل إليه أن عينين براقتين تراقبانه بحذر وسخرية فغلا الدم في رأسه وخضب وجهه الشاحب باحمرار الخجل والعار ، ولم يذهب إلى وزارته ولكن دار دورة في الشوارع القريبة ، وكان يخرج ساعته من آن لآن وينظر إليها جزعاً مضطرباً ؛ فلما دارت في منتصف الثامنة عاد أدراجه حذراً متيقظاً حتى انتهى إلى صالون الحلاق وانسل داخلاً ؟ وكان خالياً إلا من صاحبه الذي حياه تحية الصباح ، وابتدره قائلا :

« جاء كعادته وغاب داخل العمارة منذ ربع ساعة ... »

وجد الشاب في مكانه هنيهة لأنه أحس بأنه مقبل على دقيقة فاصلة في حياته ستقرر حتماً مصير سعادته وكرامته ، فخان الهدوء أعصابه على رغم صلابتها وقوتها وشعر باضمحلال مخيف وسمع الحلاق يقول له : « أتريد أن أصحبك ؟ » ؛ فآلمته عبارة الرجل وقال بحدة : « كلا » . وغادر المكان بسرعة وقد محا الغضب دبيب الاضطراب الزاحف على نفسه ، ودخل إلى العمارة وصعد السلم بخطوات ثقيلة وجعل يرمق باب الغرفة الذي يدنو منه بعينين جامدتين ، وقد شل عقله عن التفكير ما يتجاذبه من الأفكار والخواطر التي تطفو على سطحه بسرعة وتغيب بأسرع مما ظهرت غير تاركة من أثر سوى الذهول في النفس والحرارة في الدماغ . ووجد نفسه واقفاً بازاء الباب وكان يلهث كمن جرى شوطاً كبيراً وقلبه يخفق بعنف ويدفع الدم إلى رأسه فيدوي في أذنيه ، وكأنه خشي على إرادته من التردد فدس يده في جيبه وأخرج المفتاح وأولجه في الباب وأداره بخفة وحذر ودفعه على مهل وأدخل رأسه ليلقي نظرة على الردهة ثم دخل وهو يكتم أنفاسه ورد الباب بلا إغلاق كيلا يحدث صوتاً

وكانت الردهة خالية وجميع الحجرات مغلقة ... ترى أين الخادمة الصغيرة ؟ وانصرف نظره إلى حجرة النوم وخلع حذاءه ودنا منها على أطراف أصابعه حتى صار بازاء بابها المغلق وانحنى قليلا ووضع أذنه على ثقب الباب وأرهف سمعه فخيل إليه أنه يسمع غمغمة خافتة وأصواتاً أخرى ، ذهب الشك بعذابه وآماله وسقرت أمامه الحقيقة الأليمة المخزية وقد انطفأ نور بصره ثواني

من شدة الغضب ولم يعد يحتمل الجمود فتراجع خطوتين وثنى ساقه وشد عليها بقوة جنونية ثم أطلقها بعنف فى الباب فارتج ارتجاجاً شديداً وانفتح بحالة تشنجية وخطا خطوتين فاجتاز عتبة الحجرة ، ودوت فى الحجرة صرخة جنونية وقفز من الفراش جسمان عاريان ، الزوجة وذاك الشاب ...

وكانت المرأة فى حالة جنونية من الرعب ، فجسدها يرتجف ووجهها يصفر وعيناها تتسعان ، وقد سحبت اللحاف على جسمها بحركة عكسية ولبثت تنظر إلى زوجها كأنما تنظر إلى شيطان رهيب .. أما الشاب فهم بالجرى إلى ثيابه الموضوعة على « الشيزلنج » ولكن قدميه تسمرتا فى الأرض فجمد فى مكانه ، وجعل ينظر إلى الزوج نظرة ذعر ويأس مميتين ، ومد يده إليه بتوسل وقال بصوت مرتجف كأصوات الأطفال المنتحبين : « فى عرضك »

من العجيب حقاً أن الزوج لم يغشه الجنون ولم يندفع إلى الانتقام كما يحدث عادة ، بل هبط عليه جمود غريب وتلبسه هدوء غامض شبيه بنكسة الخمر التى ترد المنتشى الهائج إلى ثقل النوم ، فلبث واقفاً مكانه وجعل يقلب عينيه بين العاشقين فى هدوء قاس كأنه يشاهد منظراً بعيداً عن مشاركة وجدانه ومشاعره ...

ورأى يد زوجه وهى تسحب اللحاف على جسمها فسألها ببرود قائلا :

« أتخجلين من الظهور أمامى عارية ؟ »

وتحول إلى الشاب ، فصاح به هذا بصوته المرتعش المحموم :

« الرحمة ... دعنى أرتد ثيابى وافعل بى ما تشاء »

فقال له ساخراً :

« هل يروقك أن تموت فى ثيابك ؟ »

فصاح الشاب مولولاً : « الرحمة ... أنا فى عرضك »

فقال له بلهجة رقيقة :

« إرتد ثيابك أيها الشاب ولا تخش أذى »

فلم يطمئن العاشق إلى قوله وتوسل إليه بصوته الباكى المرتعب : « إرحمنى ... »

فقال له يطمئنه ويشجعه :

« إرتد ثيابك أيها الشاب ولا تخش أذى ... تقدم ، إنى أعنى ما أقول »

ولكنه لم يتحرك من مكانه واشتدت الرجفة بجسمه حتى خاله سيصعق صعقاً ، فسار بنفسه إلى الشيزلنج وأتى له بثيابه وقدمها إليه قائلاً بسخرية : « أتحب أن أساعدك على ارتدائها ؟ » ، وأسرع فى لهفة يحشر جسمه حشراً فى ثيابه ، فانتهى فى ثوان ، وكان شكله زرياً مضحكا ، فشعر رأسه المدهون بالفازلين يبرز مبعثراً من حافة الطربوش ، وأزرار بنطلونه مفككة والقميص يتدلى من بينها ، والحذاء لم يعقد رباطه . ولكنه كان فى غيبوبة ذاهلة ، فنظر إلى الزوج نظرة تسليم ويأس وقال له :

— أنا تحت أمرك

وهز الرجل كتفيه استهانة وقال :

— وماذا أصنع بك ؟ لا فائدة لى فيك ... استأذن الهانم — فاذا أذنت لك انصرف مصحوبا بالسلامة »

فألقى إليه الشاب بنظرة كأنها تقول : لم التعذيب ... أقتلنى إن شئت ولكن بسرعة . وقد فهم معناها فهز كتفيه مرة أخرى بهزء وقال :

ألا تريد أن تذهب ؟ ألم تشبع بعد ؟ أما تزال لك رغبة فيها ؟ ..

فاشتد الارتباك بالشاب ، ورأى الزوج يوسع له الطريق فتحرك بخطوات بطيئة وهو لا يصدق ما يسمع ومايرى. ولما صار بإزائه أحس بيده توضع على كتفه فانتفض رعباً وتوقع شراً ولكن الرجل بادره قائلاً : لا تخف... ستذهب كما تشاء ولكن أين..؟

قال هذا وبسط إليه كفه فنظر إليه العاشق مرتبكا متسائلا فقال :

— الثمن

فظل الشاب ينظر إليه صامتا فقال الزوج بلهجة جدية

— مالك ! ؟ ألم تحظ بوصال هذه المرأة ؟ فلم لا تدفع الثمن ؟ هل تظن أن الوصال هنا بلا ثمن ؟

— سيدى ...

— يالك من عاشق بخيل ! ألا تريد أن تجود بشيء؟ بكم تثمن هذه المرأة ؟ هه ؟ إنها تستأهل ريالا فما رأيك ؟

ولما يئس من الشاب فتش جيوبه بنفسه حتى عثر على حافظة نقوده واستخرج منها ريالا ثم ردّها إليه وهو يقول « تفضل الآن فاذهب إلى حيث تشاء ... »

وانفلت الشاب خارجاً لا يصدق أنه فاز بالنجاة، والتفت الزوج إلى زوجه فقال لها « ارتدى ثيابك ياسيدتى واطردى عنك الرعب فلا خوف عليك ولا أنت تحزنين »

* * *

كيف استطاع أن يسيطر على عواطفه ؟ كيف أمكن أن تطيعه أعصابه تلك الطاعة العمياء ؟ هذا سر من أسرار الطبيعة يعجز عن إيضاحه البيان ، وعلى كل حال فقد انقضى ذلك اليوم كما ينقضى الكابوس الأليم . ولم يشر إليه — بعد انقضائه — بتلميح أو تصريح — ولا ذكره بخير أو شر ، ولا أجرى بسببه تحقيقا ولا أثار عنه سؤالا وطالعها بوجه هادئ طبيعى كأنه شخص آخر غير الزوج المطعون، ولم ينقطع عن عمله أو يغير من عاده ولا كف عن أحاديثه أو فتر عن مداعباته. وكان يذهب ويعود ويعمل ويستريح ويأكل ويشرب وينام ويقوم وكأنه زوج سعيد يعاشر زوجه الحبيبة أو رب بيت مطمئن يسهر على بيته وأسرته دون أن ينغص حياته منغص أو يكدر صفوها مكدر

وكانت المرأة فى أول عهدها بالفضيحة كالمجنونة من شدة ما يعذب نفسها من الخوف والرعب والعذاب، وقد توسلت إليه ضارعة وهى تبكى أن يطلقها ويستر عليها، ولكنه قال وكأنما فقد ذاكرته : «أطلقك! له ؟ أجننت أنت ياعزيزتى ؟ » وأسقط فى يدها ولبثت حائرة مذعورة معذبة تخشاه وتتوجس منه خيفة ويغلق عليها أمره فلا هو يطلقها ولا هو ينتقم منها والأعجب من هذا جميعه سلوكه نحو عاشقها فى ذلك اليوم الأسود ...

ومضت الأيام طويلة ثقيلة فلم تحقق مخاوفها ولم تصدق هواجسها وأخذت تخف عليها وطأة الخوف وتتناسى همومها فيما تقوم به من الواجبات البيتية، ووجدت نفسها — وهى لا تدرى — تتفانى فى خدمته والسهر على بيته وتوفير الراحة له بحماسة الخاطئ الذى يعالج جرح ضميره بالتكفير والتعذيب ، على أنها لم تطمئن إلى دعته كل الاطمئنان وكانت تسأل نفسها حيرى... ترى هل نسى وغفر ؟ أم هو يتناسى ويتعزى ، أو ما الذى تنطوى عليه حياته البهمة وابتسامته الغامضة من النيات ...؟

ولبثا على حالها والأيام تحث السير وكل منهما متظاهر بالألفة والاطمئنان ويجتر أفكاره فيما بينه وبين نفسه ، حتى كان يوم دعا فيه الزوج جميع أهله وأهل زوجه إلى مأدبة غداء ، وبذل لإعدادها فوق ما تحتمل قدرته حباً وكرامة . وأمّ بيته ذلك اليوم جميع أفراد الأسرتين نساء ورجالا ، فتيات وفتيانا وعلى رأسهم حماه وحماته ، فضاق البيت بالمدعوين وضج جوه بأحاديثهم وضحكاتهم وازداد سعادة بما شملهم من ود عائلي جميل ... وتشعب الحديث شعباً مختلفة فطرق موضوعات السمنة والنحافة والزواج والعزوبة وبنات الأمس وبنات اليوم ، ومس السياسة حيناً والدرجات والملاوات والأطفال أحياناً كثيرة ... وشارك المهندس فى الأحاديث بشهية عظيمة ، وكان بادى المسرة والبهجة عظيم الاقبال على مجاملة ضيوفه والترحيب بهم

وقد توقف عن الكلام بغتة كأنما تذكر أمراً مهماً ، ثم دس يده فى جيبه فأخرج ريالا ، جعل يقلبه فى يده ثم أعطاه حماه وهو يقول :

— أنظر إلى هذا الريال ياعماه ... أتراه مزيفاً ؟

فأخذه الرجل وجعل يقلبه بين يديه وقد اتجهت إليه الأنظار من كل صوب ثم قال :

— كلا يا بنى إنه صحيح لا شك فيه ... هل رفضه أحد ؟

واختلس الزوج نظرة الى زوجه فرأى وجهها مصفراً يحاكي وجوه الموتى فابتسم ابتسامة غامضة وقال :

— لم يرفضه أحد يا سيدى ولكنى أردت أن أطمئن عليه لأنه محور قصة عجيبة قد يروقكم جميعاً سماعها

فازداد اهتمام الحاضرين ودل تطلعهم إليه على شوقهم إلى سماع قصته ، فطلب إلى حميه أن يعطى الريال زوجه ثم قال :

— إن شوشو تعرف قصة هذا الريال خيراً منى ، وسأتنازل لها عن حق روايتها ... هيا يا شوشو قصى عليهم القصة العجيبة وهى حقيقة تفتح شهوتهم للطعام

وانصرفت الوجوه إلى الزوجة وقد تضاعف اهتمام الجميع وتوقعوا جميعاً قصة شائقة . أما شوشو فكانت فى حالة يرثى لها من الذعر والارتباك ، وقد جمعت قوتها المشتتة وقامت واقفة وشقت طريقاً بين الجالسين إلى باب الحجرة ، فاحتجوا على قيامها وحاول بعضهم منعها ولكنها قاومت الأيدى وهى تقول بصوت خافت مضطرب « انتظروا دقيقة ... سأعود فى الحال ... »

وولت خارجة وعينا زوجها تتبعانها بنظرة قاسية

* * *

يستطيع القارئ أن يستنبط الخاتمة المروعة فانه لاشك يقرأ كثيراً فى الصحف عن اللاتى يرمين بأنفسهن من النوافذ العالية فيسقطن مهشمات مشوهات ، ولعله إذ يقرأ هذه الأخبار المقتضبة يتساءل عن أسبابها الخفية ويذهب به الحدس كل مذهب . فهذا سر واحدة من أولئك المنتحرات ، وإنه ليؤسفنى أن تنتهى القصة إلى هذه النهاية المحزنة ولكن ما حيلتى وقد بدأت بتلك البداية الأسيفة ؟

والحق لا تقع علىّ تبعة بدايتها ولا نهايتها فهكذا يرويها بطلها المحزون الذى غدا لا يفارق الحانة ليل نهار . وكم تمنيت لو كان كاتبها كما كان راويها ، لأنى وأسفاه لا أستطيع مهما أحاول أن أبلغ بعض ما يبلغ من صدق الرواية وقوة التعبير

نجيب محفوظ